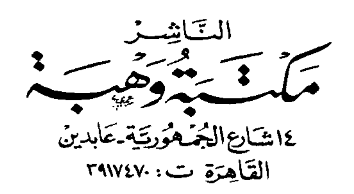
دكتور يوسف القرضاوي

مسلمة الغد



الطبعة الأولـى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٤٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم وأصلي وأسلم على رسولك، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بسنته إلى يوم الدين.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً.

نحمدك اللهم على كل حال ونعوذ بك من حال أهل النار.

ونعوذ بالله تعالى من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن عمل لا يرفع ومن دعاء لا يسمع.

إن موضوعنا هذا هو عن «مسلمة الغد»، المسلمة التى أتصورها أمامى غداً كما يجب أن تكون.

المسلمة اليوم بين تيارين خاطئين:

ولماذا اخترت بالذات «مسلمة الغد»؟

لأن المسلمة العصرية للأسف ليست كما ينبغى أن

تكون المسلمة، وأقول هذا من ناحية الاتجاه العام[1]، وإن كان هناك والحمد لله فى كل بلد من بلاد الإسلام والعرب مسلمات صالحات مؤمنات قانتات تائبات عابدات.

ولكن الاتجاه الغالب فى بلادنا نجده بين تيارين متنازعين:

تيار يميل إلى التزمّت والتشدّد وإغلاق الأبواب أمام المرأة المسلمة.

وتيار آخر يفتح الأبواب على مصاريعها، ويطلق العنان للمرأة لتفعل ما تشاء، لتقتبس من المرأة الغربية، لتقلدها تقليداً أعمى، لتحاكيها محاكاة القردة ولتتكلم مثلها كما تتكلم الببغاء.

هذان تياران وكلاهما للأسف خاطىء.

هذان التياران موجودان فى حياتنا، نجد الإفراط والتفريط، أو الغلو والتقصير، نجد هناك فتاة تخطب فلا يراها خاطبها، ولا زالت بعض البيئات تمنع الخاطب أن يرى

---

(١) قلت هذا منذ ١٥ عاماً أو يزيد، قبل بروز الصحوة الإسلامية المعاصرة، التى شملت المسلمين والمسلمات، وخصوصاً فى المعاهد والجامعات.

مخطوبته، حتى تأتى ليلة الزفاف فيفاجأ بإنسانة غير التى كان يتخيلها فى ذهنه وفى مخيلته.

هذا فى جانب....

بينما فى الجانب الآخر هناك العصريون، التقدميون، التحرريون، هناك من يبيحون للخاطب أن يصطحب مخطوبته وأن يتأبط ذراعها وتتأبط ذراعه ليذهبا معًا إلى المنتزهات أو إلى السينمات، أو إلى المسرحيات أو إلى غير ذلك، يمضيان الوقت معًا إلى منتصف الليل بلا رقيب ولا حسيب.

هذان تياران، تيار التزمت الذى لا يبيح حتى الرؤية... وتيار إطلاق العنان إلى هذا الحد....

وكلاهما لا يمثل الإسلام.

● **الحقيقة الضائعة:**

الإسلام أباح للمرأة أن ترى خاطبها، وشرع للرجل - بل أمره - أن يرى من يخطبها، قال النبى ﷺ - لمن قال له: إنى خطبت امرأة- : «هل نظرت إليها؟ »، قال: لا، قال: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»، أى: يحصل بينكما الائتلاف والموافقة.

نجد مثل هذا فى علاقة الرجل بامرأته.

هناك من يهمل امرأته ويعتبرها فى البيت كماً مهملاً لا رأى لها ولا مشورة، حتى فى زواج بناتها لا يأخذ رأيها، مع أن النبى ﷺ قال: «آمروا النساء فى بناتهن»، يعنى: خذوا رأى الأم فى بنتها؛ لأنها أعرف بها، وأخبر بأحوالها، وأدرى بأسرارها، وأعرف برغباتها منك أيها الرجل، فشاورها فى ابنتها.

إن الله سبحانه وتعالى يقول فى شأن الرضيع: ﴿ **فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا** ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ومع هذا لا يشاور الرجل المرأة، وإذا شاورها ضرب برأيها عرض الحائط.

● مشاورة المرأة:

للأسف اخترعوا مقولة هى: (شاوروهن وخالفوهن)!

وما قال هذا سيدنا رسول الله ﷺ قط؛ لأن الله تعالى يقول فى محكم كتابه: ﴿**عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ**﴾، فكيف يأتى الحديث مخالفًا للقرآن؟!

ولقد شاور النبى ﷺ زوجه أم سلمة فى أمر من الأمور بعد صلح الحديبية، بعد أن أمر النبى ﷺ أصحابه أن يحلقوا

ويقصروا شعورهم ويتحللوا من إحرام العمرة، ليعودوا بعد اتفاقية صلح الحديبية، ولكن الصحابة عزّ عليهم - وقد خرجوا بنية العمرة وبنية العبادة - أن يتحللوا ويعودوا دون أن يؤدوا النسك.

شق على أنفسهم هذا الأمر، فبعد أن لم يتقدم أحد منهم ليتحلل من إحرامه ويقص شعره أو يحلقه ويخلع ملابس الإحرام ... بعد أن لم يفعل أحد ذلك... دخل النبى ﷺ على أم سلمة يشكو إليها ما صنع أصحابه ويقول: «هلك الناس»، أى: عصوا أمر رسول الله.

قالت أم سلمة وأشارت عليه: يا رسول الله، اخرج فلا تكلم أحداً، واطلب الحلاق ليقصر لك شعرك ويحلقه أمامهم، وتحلل من الإحرام أمامهم، ولا تفعل غير ذلك، فخرج النبى ﷺ واستدعى الحلاق ليقصر له شعره، وتحلل من إحرامه.

وكأن الناس كانوا فى نوم فاستيقظوا، وقالوا: كيف لم نفعل ما فعل رسول الله، ففعلوا... وكان ذلك بفضل رأى أم سلمة.

إذاً المرأة لها رأيها.

● **التقليد الأعمى:**

الآن نجد إمّا رجلاً يهمل امرأته تمامًا، وإمّا رجلاً يسلم لها الزمام، فتصبح المرأة هى سيدة البيت - بما فيه الرجل - وهى المتصرفة فى كل شىء، والرجل لا يفعل شيئًا، ولا يحكم على شىء.

لم يقل الله سبحانه: النساء قوامات على الرجال، وإنما قال: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾ [النساء: ٣٤]، فالرجل الذى يعيش فى بيته ولا أمر له ولا رأى، ولا يستطيع أن ينفذ شيئًا، وإنما المرأة هى التى تتحكم فيه، هذا ليس رجلاً.

نجد الإفراط والتفريط فى هذه الأمور كلها. الذى نريده هو الأمر الوسط، وهذا الوسط هو الاعتدال الذى جاء به الإسلام.

ومن هنا نريد مسلمة الغد...

المسلمة المعتدلة التى تؤدى واجباتها كما تطالب بحقوقها، بل تؤدى الواجبات قبل أن تطالب بالحقوق.

هذا العصر تسوده موضة فكرية، ألا وهى طلب الحقوق قبل أداء الواجبات. كل إنسان يقول: ماذا لى، قبل أن يقول: ماذا علىّ.

فالمرأة تطالب بحق التعليم، بحق العمل، بحق الانتخاب، بحق الترشيح.... ولا تقول: ماذا يجب أن أفعل!

الحقوق قبل الواجبات، والعناية بالمظهر قبل المخبر، والعناية بالجسم قبل الروح، والعناية بالشارع قبل البيت!! هذا هو طابع المرأة العصرية.

ذلك أننا أخذنا هذه الأشياء من الغرب ومن المرأة الغربية، وتقليد المرأة المسلمة للمرأة الغربية لا ينبغى أن يكون؛ لأن لكل منهما خصائصها.

المرأة الغربية لها طبيعتها، لها عقيدتها، لها مواريثها من القيم والتقاليد، لها بيئتها المختلفة... ونحن لنا تراثنا وقيمنا وتقاليدنا، فلا ينبغى أن تقلد المرأة المسلمة فى بلاد المسلمين المرأة الأوربية أو الأمريكية.

المرأة هناك خرجت تعمل وتزاحم الرجال بالمناكب فى كل ناحية من نواحى الحياة، إنها فعلت مضطرة غير مختارة مسيرة لا مخيرة... لأنها لو لم تفعل ذلك لهلكت ولماتت جوعًا، لأنها لم تجد من ينفق عليها، لا أب ولا أخ ولا زوج ولا أى إنسان آخر.

هذا ليس فى الإسلام ...

المرأة في الإسلام هي الأصل. إنها مكفولة الحاجات، مكفية النفقات؛ لأنها دائمًا في كفالة رجل... إما أبوها إن كانت بنتًا، وإما أخوها إن كانت أختًا، وإما ابنها إن كانت أمًا، وإما زوجها إن كانت زوجة، هي مكفية بهؤلاء بحكم نظام النفقات في الشرع، ويلزم الإنسان بهذا إلزامًا.

أما هناك في الغرب ... فلا شيء من هذا!

أستاذنا الدكتور محمد يوسف موسى - رحمه الله - كان يتعلم في فرنسا ليحصل على الدكتوراه من هناك، حيث كان يعيش في باريس... ذكر في كتابه: «الإسلام وحاجة الإنسانية إليه» يقول: «كنا نعيش في بيت وكانت تخدمنا فتاة يظهر من سلوكها أنها ذات أصل ونسب، ليست من بنات الهوى ولا من بنات الليل، ولا ممن يبعن عرضهن، كانت تؤدي عملها بشرف واحترام، فسألنا صاحبة البيت الذي نسكن فيه عنها، فقالت: أتعرفون المتجر الفلاني في الشارع الفلاني - وهو من المتاجر الكبيرة المشهورة - ؟ فقلنا: نعم. قالت المرأة: هذا عمها وهي ابنة شقيقه فعجبنا، وقلنا لها: عمها هذا التاجر الثري، ويترك ابنة أخيه تخدم في المنازل؟ فلترفع عليه دعوى ليحكم عليه بالنفقة ولا تضطر إلى الخدمة في البيوت. فابتسمت المرأة وقالت: أي قانون يحكم لها؟!

وهل عندكم مثل هذا النظام؟! قلنا: نعم، عندنا.... وتستطيع مثل هذه الفتاة أن ترفع دعوى على عمها، ويجبر على دفع النفقة إجباراً.

فقالت المرأة: لو كان هذا عندنا لما رأيتم هذه الطوابير من الفتيات والنساء اللواتى يعملن فى المصانع والمتاجر والمؤسسات من الصباح الباكر! إن ما أجبرهن على مثل هذا أنهنّ لم يجدن من ينفق عليهن!».

هؤلاء الناس إذاً لهم قيمهم وشرائعهم وتقاليدهم.

كيف نفعل مثلما فعلوا، ونقول: إن المرأة يجب أن تعمل كما يعمل الرجل تماماً؟

لا مانع أن تعمل المرأة إذا احتاجت إلى العمل، أو إذا احتاج المجتمع إلى عملها... كالمعلمة والطبيبة والمولدة. هناك أنواع من الأعمال يحتاجها المجتمع الإسلامى، وتليق بفطرة المرأة وطبيعتها.

إن مشكلتنا إذاً هى مشكلة التقليد الأعمى.

● المرأة المسلمة بين أمسين:

إن المرأة العصرية تريد أن تكون كالمرأة الأوربية تماماً.

ولكن الشرق شرق... والغرب غرب.

ومن هنا نقول: إن المرأة المسلمة فى الغد - إن شاء الله - ستنحل عنها هذه العقدة، عقدة المحاكاة والتقليد .... وستسترد ثقتها بنفسها وستنظر إلى ماضيها نظرة أخرى.

ستنظر إلى الأمس، لا إلى الأمس القريب، ولكن إلى الأمس البعيد.

● الأمس القريب:

المرأة عندنا لها أمسان؛ الأمس القريب الذى يمثل عصور التخلف، وهذا لا نحب أن تعود إليه؛ لأن المرأة فى عصور التخلف للأسف ظلمت، وفرضت عليها العزلة، وفرض عليها الجهل.

عزلت عن الحياة وعن الدين وعن الدنيا... إنها حرمت من المسجد وكان هو منفذها إلى الدين والحياة. الفقهاء فى الأزمنة الماضية قالوا: إن الزمان قد فسد، وإن سيل الفساد قد عم، وإن خروج المرأة يعرضها للفتنة ولهذا أفتوا بأن المرأة - وبخاصة المرأة الشابة - لا تذهب إلى المسجد! لا تذهب إلا العجوز التى أكل عليها الدهر وشرب! وعلى زوج المرأة الشابة أن يعلمها، وعلى الأب أن يعلّم ويفقه ابنته إذا لم تكن متزوجة.

والذى حدث أن الأب لم يعلم ابنته، وكيف يعلمها وهو نفسه بحاجة إلى من يعلمه؟! وفاقد الشىء لا يعطيه! لم يستطع الأب ولا الأخ أن يعلم المرأة..

وحرمت هى من الذهاب إلى المسجد لتسمع الدروس والعظات والخطب. ومعنى هذا أنها بقيت فى عزلة وفى جهالة... لا تعرف واجبها نحو زوجها كما أراد الإسلام، ولا واجبها نحو أولادها... لم تحسن تربية الأولاد، ولذلك ظلت تخوّف أولادها من الغول وما شابه ذلك، ظلت تحكى للأولاد القصص والخرافات. وللأسف فإن آثار هذه العزلة لا نزال نشكو منها إلى اليوم.

المرأة فى عصرنا خرجت من بيتها وذهبت إلى المدرسة، ذهبت إلى الجامعة، ذهبت إلى السوق، ذهبت إلى العمل، ذهبت إلى السينما! وإلى أماكن شتى... ولكن المكان الوحيد الذى لم تذهب إليه كما ينبغى هو المسجد!

لماذا لا تذهب المرأة إلى المسجد؟ كل نساء العالم يذهبن إلى معابدهن: النصرانية تذهب إلى الكيسة، اليهودية تذهب إلى ا لبيعة، والهندوسية تذهب إلى المعبد، كل صاحبة دين تذهب إلى مكان عبادتها...

فلماذا لا تذهب المرأة المسلمة إلى المسجد؟ لماذا لا تهيأ دروس منتظمة للنساء؟

لماذا لا تحضر الجمعة والجماعة؟

كانت المرأة فى عهد النبى ﷺ تحضر الجماعة، وكانت الصفوف الأماميّة للرجال، والخلفيّة للنساء.

وكان النساء يدخلن ويخرجن مع الرجال من باب واحد، وظل هذا لفترة طويلة، فقال النبى ﷺ يومًا: «لو جعلتم هذا الباب للنساء» وأشار إلى أحد الأبواب فى مسجده الشريف. قال ابن عمر: فلم أدخل بعد من هذا الباب. ولا يزال هذا الباب إلى يومنا هذا يسمى (باب النساء) فى المسجد النبوى الشريف.

فى عصور التخلف والانحطاط فرضت هذه العزلة على المرأة، وفرض هذا الجهل، فلم تقم بحق بيتها، ولم تقم بحق أولادها، ولم تقم بحق زوجها.... بل لم تقم بحق ربها.

وترك كثير من النساء الصلاة. المرأة المسلمة - من جهلها - تركت الصلاة! تركت الفرض الأساسى اليومى الذى هو عماد الدين، والذى هو الفرق بين الإسلام والكفر.

ونحن لا نريد العودة إلى عصور التخلف والانحطاط.

نحن نريد لمسلمة الغد أن تعود لعصر المسلمة الأولى التى عاشت فى عصر النبوة وفى عصور الصحابة وتابعيهم بإحسان، وفى العصور الذهبية التى أدت المرأة فيها واجبها وعرفت حقها تماماً.

عرفت واجبها نحو الله فأدت واجبها نحو الله، وعرفت ربها تماماً فعبدته حق عبادته، وصامت شهرها، وصلت خمسها، وأحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، فاستحقت جنة ربها.

● **الأمس البعيد:**

كانت المرأة تأتى إلى النبى ﷺ تسأله فى أخص الشئون. حتى إن عائشة رضى الله عنها قالت: «رحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين». حتى فى علاقة الرجل بامرأته، وفى علاقة المرأة بزوجها، كانت تسأل النبى ﷺ لأنه لا حياء فى الدين، وكانت النساء حريصات على اتباع ما أمر الله، ولما نزل قوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١]، لما نزلت هذه الآية، قالت عائشة رضى الله عنها: «ذهبت نساء

الأنصــار كل واحــدة تبــحث عن غطاء عندها، وجــئن إلى الصلاة وقد وضعن الأغطية على رؤوسهن وتلفعن وكأن على رؤوسهن الغربان » .

لم ينتظرن لحظة واحدة، بل سارعن إلى امتثال أمر الله سبحانه وتعالى. وهكذا كان شأن المرأة مع ربها وأوامر دينها.

أما زوجها فقد كانت نعم العون له.

ذات النطاقين أســمــاء بنت أبى بكر رضى الله عنهــمــا كانت تعين زوجـهـا الزبير بن العوام، ا بن عـمة رسول الله ﷺ وحـواريّه، كـانت له أرض على ثلثى فـرسخ من المدينة. . . أى عـدة كـيلو متـرات، وكـانت تذهب مـاشـيـة إلى هذه الأرض، وكـانت له فـرس فكانت تدق لهـا النوى، ومـرة عـادت فـرآها النبى ﷺ ماشية فأردفها فحَكَت ذلك للزبير فتألم لما تعانيه من مشقة، ولكن هذا واجبها، تساعد زوجها. المهم أن تكون مع زوجها وقت الشدة وساعة العسرة.

كانت فاطمة الزهراء - بنت رسول الله ﷺ وسيدة نساء العالمين - تكنس فى بيتها، وتعجن وتطبخ وتخبز، حيث لا يوجد خبز حاضر كما هو الحال فى زمانا، بل كانت المرأة تطحن الشعير وتعجنه.

طحنت فاطمة رضى الله عنها حتى مجلت يداها وظهرت فيها آثار هذا الطحن - تقرحت وصار بين الجلد واللحم ماء - وكانت بعد الطحن تعجن وتخبز.

وذهبت يومًا إلى النبى ﷺ تشكو إليه ما تلاقى وتطلب خادمًا، وكان النبى ﷺ يقول: «فاطمة بضعة منى يريبنى ماربها»، فقال لها عندما اشتكت إليه: «ألا أدلك على خير من ذلك... عندما تنامين تسبحين الله ثلاثًا وثلاثين، وتحمدينه ثلاثًا وثلاثين، وتكبرينه ثلاثًا وثلاثين، إن ذكر الله خير لك من الخادم». أى أن ذكر الله يمنحك قوة روحية تعينك على أعباء الحياة، استيعنى بالله عز وجل.

ساعدت زوجها على بن أبى طالب؛ لأن عليًا لم يكن يملك فى ذلك الوقت أن يأتى لها بخادم يساعدها، فكان لا بد أن تشاطره أعباء الحياة، لا بد أن تعيش الحياة بحلوها ومرها، وورها وشوكها.

هذا هو الإخلاص... وهذا هو الوفاء.

المرأة فى عهد السلف كانت نعم العون للزوج، بينما امرأة اليوم تريد نقودًا وثيابًا وحليًا. وتريد أن تكون فى مظهرها أحسن من فلانة وفلانة، وتحرض الرجل على أن يوفر المال عن أى طريق كان، حلالاً أو حرامًا... عزيزًا أو ذليلاً.

المرأة فى عصر السلف الصالح كانت تقول لزوجها إذا خرج للعمل أو للتجارة أو نحو ذلك: يا أبا فلان، إياك وكسب الحرام! فإننا تصبر على الجوع والطوى، ولا نصبر على النار، وغضب الجبار! فلو كان الزوج رخو العود، أو ضعيف الإرادة أمام الحرام، فإن هذه الكلمة من امرأته ستجعله يصحو لنفسه وبيته، ويستيقظ ضميره، ويحاسب نفسه مرة ومرة قبل أن يرتكب حراماً.

وإذا ذهب الرجل إلى الجهاد، ماذا كان موقف زوجته منه؟ لم يكن موقفاً مثبطاً وإنما كانت تحثه على الجهاد. فلو قيل لها: ماذا تصنعين أنت وعيالك بلا زوجك؟ قالت لهم فى إيمان الواثقة وثقة المؤمنة: إنى عرفت زوجى أكّالاً لا رزاقًا، فإن ذهب الأكّال فإن الرزاق باق!

نريد مسلمة الغد أن تكون صورة من هذه المسلمة. معينة لزوجها على طاعة الله وأداء الواجبات. نريدها زوجة صالحة. وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة.

نريدها أمًا صالحة تحسن تربية أولادها.. نريدها أن تنشّئهم على مكارم الأخلاق، وعلى فضائل الإسلام، وعلى محبة عبادة الله وطاعة الله، وأن تكرّههم فى معصية الله وتنفرهم من الرذائل وترغبهم فى الفضائل، وتذكرهم بالآخرة.

هذه الأم المسلمة عندما يدعو الداعى وينادى منادى الجهاد، وعندما يدق ناقوس الخطر، وعندما يقول القائل: يا خيل الله اركبى، ويا كتائب الله سيرى... نجدها تدفع أبناءها لأداء الواجب كما كانت الأم المسلمة من قبل، فالأم المسلمة كانت تحث أبناءها على الجهاد.

نريد أمًا كالخنساء... الخنساء هذه كانت لها حالتان: حالة قبل الإسلام، وحالة بعد الإسلام. قبل الإسلام مات أخوها صخر وكان أخاها من أبيها، فملأت الدنيا بكاءً وصراخًا وعويلاً، نظمت ديوان شعر كله بكاء وعويل على صخر...

ومما قالت فى رثائه:

يذكرنى طلوع الشمس صخراً
وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى
على إخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكين مثل أخى ولكن
أعزى النفس عنه بالتأسى

وقصائدها مشهورة فى رثاء أخيها، ولكنها بعد أن

دخلت الإسلام وخالطت بشاشة الإيمان قلبها، غيّرها الإسلام، وأنشأها خلقًا آخر، وصاغها من جديد، وأصبحت إنسانة أخرى، لها أهداف أخرى، ولها تفكير آخر.

فعندما ذهب أبناؤها ليقاتلوا فى معركة القادسية فى عهد عمر رضى الله عنه، ظلت تعلمهم وتنصحهم وتعظهم أن يقدموا ولا يحجموا، وأن يثبتوا ولا يترددوا، وأن يحرصوا على الشهادة فى سبيل الله. وأوقدت شعلة الحماسة واليقين فى صدورهم، ولهذا لما خاضوا المعركة - وكانوا أربعة فرسان - كان كل واحد يذكّر أخاه كلما رأى منه بعض التكاسل فيقول له: أنسيت وصية الأم العجوز؟ فيقدم غير هياب ولا وجل، وخاضوا المعركة بهذه الروح الإيمانية، وكان أن اختارهم الله جميعًا شهداء.

أربعة قتلوا فى سبيل الله.

ونعى الناعى الأبناء الأربعة. وجاء الخبر إلى الأم، فماذا صنعت؟ هل لطمت خداً أو شقّت جيبًا؟

هل دعت بدعوى الجاهلية؟ هل ضعفت؟

موت أربعة!!!

هى أم، ولكن إيمانها كان أقوى من لوعتها، فقالت:

الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى سبيله وجعلهم شفعاء لى يوم القيامة. هذا ما قالته المرأة الأم!!

كما نعرف موقف ذات النطاقين أسماء من ابنها عبد الله ابن الزبير، حينما كان يقاتل بنى أمية على الخلافة.

وحينما حوصر ولم يبق معه إلا أتباع قليلون، وجاء يستسلم، فقالت له، الأم الصابرة الشجاعة: يا بنى، إن كنت على الحق فلا تدع هؤلاء القوم يلعبون برأسك، فقال لها: يا أم، إنى أخشى إذا قتلت أن يمثلوا بى، فقالت له: يا بنى، إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها!

وأم الفضل - زوج العباس عم النبى ﷺ عندما قيل لها: إن ابنك فلانًا قتل فى البلدة الفلانية، وابنك فلان مات فى البلدة الفلانية، فقالت كلمة حكمة: «لقد باعدت بينهم الهمم! ولو كانوا ذوى همم منحطة لماتوا حيث ولدوا».

نريد أم الغد أن تكون على هذا المستوى.

نريد مسلمة الغد مسلمة فاقهة لدينها، عارفة بحياتها، غير معزولة عن الحياة وعن الدين.

نريدها أن تعيش فى عصرها ولكن على ألا تتخلى عن دينها.

أنا موقن بأنه لا بد أن يأتى هذا اليوم.. وهو قريب.. لتستعيد المسلمة الثقة بدينها والثقة بشخصيتها، الثقة برسالتها والثقة بتراثها وتقول:

أنا لست أوربية ولا أمريكية ولا روسية، إنى مسلمة، ومعنى مسلمة أى من خير أمة أخرجت للناس.

أنا قد رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن كتابًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً.

لا بد أن أظل محتفظة بإسلامى وبقيمى الإسلامية، بشخصيتى الإسلامية، وبتقاليدى الإسلامية.

لا بد أن تعود إليها هذه الثقة، واحتفاظها بهذا لن يحرمها من الحياة إطلاقًا، لن يحرمها شيئًا من حقوق الحياة.

لا بد أن تتعلم لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والإسلام لم يفرض الجهل على المرأة، والذين فرضوا الجهل على المرأة فى بعض الأوقات كانوا هم جهلاء، الجهل عمّ الرجال والنساء جميعًا.

أما الإسلام فهو يريد التعلم لكلا الجنسين.

لقد كان من نساء المسلمين من يفتى الرجال..

نعرف أن الرجال كانوا يذهبون إلى أمهات المؤمنين

كأمثال السيدة عائشة رضى الله عنها وأم سلمة رضى الله عنها، ليرووا عنهن الحديث ويسألوهن فى كثير من أمور الإسلام، وكان كبار الصحابة و التابعين يذهبون إلى السيدة عائشة ويسألونها، وكانت ترد عليهم وتستدرك عليهم، وقد ألف فى هذا أكثر من كتاب.

ألف الإمام الزركشى كتابًا أسماه «الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة»، حيث كانت عائشة ترد على الصحابة.. فلان مخطئ فى كذا، وفلان فى كذا.. بكل شجاعة وبكل قوة.

وفى العصور الأخرى كانت النساء المسلمات لهن مجالس.

كانت السيدة سكينة بنت الحسين، يرحل إليها، وكان لها مجلس علم. وقالوا: إن الإمام الشافعى - أحد الأئمة الأربعة - حضر مجلسها.

كانت بعضهن تروى الحديث، ويأتى الرجل ليروى عنها قائلاً: حدثتنى الشيخة الصالحة المسندة فلانة بنت فلان.

الحافظ ابن حجر العسقلانى - أعظم شارح للبخارى وأمير المؤمنين فى الحديث- يقول: إن من شيوخى فلانة بنت فلان.

أحد أئمة المذهب الحنفى ومن كبار علمائه كانت له بنت تفتى كما يفتى أبوها. ويخرج الخط من بيت أبيها وعليه توقيع الأب.. وتوقيع البنت بأنها أقرت الفتوى.

وقد زوجها لأحد تلاميذه وهو أيضًا من كبار العلماء وهو علاء الدين الكاسانى وكان يسمى (ملك العلماء). ألف كتابًا فى الفقه الحنفى اسمه «بدائع الصنائع» وهو عبارة عن توسعة لكتاب شيخه وأستاذه المسمى «تحفة الفقهاء»، ولذلك قال العلماء: شرح تحفته وتزوج ابنته! وكانت الفتوى أيضًا تخرج وعليها توقيع ابنته وتوقيع زوج ابنته.. البنت كانت تفتى كما كان يفتى أبوها، وكما كان يفتى زوجها.

وأيضًا نجد أن أبا حيان كان له من شيوخه ثلاث نساء ذكرهن، ونوه بهن.

● التكامل بين المرأة والرجل:

هكذا كانت المرأة.

المرأة لم تعزل إلا فى عصور الضعف والتخلف والانحطاط.

فحينما نقول: إن المرأة المسلمة يجب أن تحتفظ بشخصيتها الإسلامية، فليس معنى هذا أنها ستعزل عن الحياة، أو أنها ستحرم شيئًا من الحقوق.

يمكن أن تتعلم، بل يجب أن تتعلم ولكن تتعلم في حدود فطرتها وفي حدود وظيفتها، المرأة أنثى.. كما قال الله تعالى: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ** ﴾ [الليل: ١-٣].

وكما خلق الله في دورة الحياة اليومية ليلاً ونهاراً، خلق الذكر والأنثى كما يتقابل الليل والنهار. فكما أن الحياة لا تتم إلا بليلٍ ونهارٍ.. فلا بد من ذكورة وأنوثة: ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ** ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ربنا أقام الكون كله على الازدواج. بل في الجمادات كالكهرباء موجب وسالب، كذلك المرأة والرجل يمثلان الموجب والسالب.

المرأة ليست ضد الرجل ولا خصماً.. وليست هي نفس الرجل، ولذلك قال تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ** ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، أي أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة.. ولا يستغني الرجل عن المرأة ولا تستغني المرأة عن الرجل؛ ولذلك لا يصح أن تجعل المرأة نفسها عدواً للرجل ولا خصماً ولا منافساً للرجل، بل هي تكمل الرجل.

ومن هنا لما خلق الله آدم وأسكنه الجنة لم يدعه وحده؛ لأنه لا معنى لجنة يعيش فيها آدم وحده، إن الله لما خلق آدم خلق له امرأة معه وقال له: ﴿ **اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ [البقرة: ٣٥]، أما جنة بلا حواء فلا معنى لها، ولذلك قال: ﴿ **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، إليها ليتمم سكونه وأنسه بها.

الرجل من المرأة والمرأة من الرجل، لا ينبغى أن تجعل المرأة همها منافسة الرجل ومعارضة الرجل، ولا ينبغى لمسلمة الغد أن تجعل من نفسها منافسة للرجل، تعمل ما يعمل وتلبس ما يلبس.

فى عصرنا اختلط الحابل بالنابل... المرأة تريد أن تصبح رجلاً، والشاب يتأنث ويتكسر حتى تكاد تحسبه فتاة.

يجب أن يظل الرجل رجلاً بخشونته ورجولته، وتظل المرأة امرأة برقتها ولطفها، وإذا فقد الرجل خشونته وفقدت المرأة لطفها... فقدت الحياة معناها، ومن هنا نهى النبى ﷺ أن يلبس الرجل لباس المرأة وتلبس المرأة لباس الرجل، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال.. ليظل كل جنس محتفظًا بخصائصه كما فطره الله.

ولذلك تصورى لمسلمة الغد أنها ستحتفظ بأنوثتها.. لا تنافس الرجل فى رجولته، وإنما تعاونه على أن يقوم بواجبه، وتعمل فى حدود ما هيأتها لها الفطرة تعمل معلمة وطبيبة وممرضة للنساء بدلاً من أن يفحص المرأة المسلمة رجل أو طبيب وربما يكون غير مسلم حتى بعض المتاجر إذا كانت تبيع الأشياء الخاصة للمرأة كأشياء داخلية وما شابهها فلتبعها المرأة للمرأة.

● **صور من الغرب:**

إن ما أتصوره فى الغد هو أن المسلمة ستستعيد ثقتها بشخصيتها وبدينها وبتراثها... وبخاصة أنه فى عصرنا بدأ أهل الحضارة الغربية التى تقلدها المسلمة ينقدون هذه الحضارة، ويقولون: إن هذه الحضارة مقبلة على الانهيار.

ولما ينقدها أهلها أنفسهم؟

لأن هذه الحضارة بلغت القمة فى الناحية المادية... استطاع الإنسان فى أوربا وأمريكا أن يغزو الفضاء، وأن يستخدم القنبلة الذرية، وأن يصل إلى القمر، وأن يضع قدميه على سطح القمر، ولكن القيم الأخلاقية والمعانى الإنسانية، لم يستطع هذا الإنسان أن يصل فيها إلى الحد الذى يشعر معه الإنسان بالسعادة، ولا يزال الإنسان يشعر بالقلق وبالتوتر:

المعانى الإنسانية. . . العلاقة بين الأب وأولاده. . . بين الأم وأولادها. . . بين الجار وجاره. . . هذه المعانى هم محرومون منها.

هناك تقارير وكتب، كتبها بعض الناس على أن المرأة مستعدة أن تشترى سيارة تركبها على أن تنجب طفلاً ثانياً.

وهناك. . . البنت تبحث لها عن عمل، والابن كذلك، دون اهتمام بالأم ولا بالأب. . . قد يكونون فى بيت واحد وقد لا يكونون، وربما كانوا فى مكان آخر ولا يلتقون، ومن هنا احتاجوا إلى ما سموه (عيد الأم) يسأل الابن فى يوم من أيام السنة عن أم له. . .يذهب إليها ومعه زجاجة عطر أو هدية ما.

من أتعس مراحل الحياة هناك مراحل الشيخوخة. . الأب يعيش وحده؛ لأن الإنسان لا يجد من يأنس إليه. . . ولذلك هناك تنتشر تربية الكلاب!! لماذا؟ لأن الإنسان إذا لم يجد أحداً يأنس إليه أنس بالكلاب!

رأيت فى بعض الكتب أن فى فرنسا أكثر من سبعة ملايين كلب، هذه السبعة ملايين تأكل البسكويت والشيكولاتة!! ولما سئل رئيس جمعية الرفق بالحيوان: ما سر هذا العدد الهائل من الكلاب؟ قال: إن السر هو أنهم استعاضوا عن صداقة الإنسان بالكلاب!!

الإنسان فى حاجة إلى أن يُحِب ويُحَب، ولهذا وجدوا فى هذه المخلوقات نوعًا من التعويض.

كنت فى أمريكا فى الصيف الماضى فسمعت عجبًا.. سمعت أنه ليس من النادر أو الشاذ أن يحس الناس برائحة منتنة تنبعث من إحدى الشقق! فإذا أزعجتهم الرائحة إلى حد كبير حاولوا أن يعرفوا مصدرها تمامًا، فيضطروا إلى استدعاء الشرطة حيث تكسر الباب فيفاجأون بإنسان وافته المنية! وإذا سئل الابن أو البنت عنه قالوا: إننا مؤمّنون على حياته!

وبعضهم يذهب إلى مصحة للعجزة فيقضى فيها بقية عمره، ولا يرى أولاده أو أحفاده إلا مرة فى السنة إن تفضلوا عليه بالزيارة!

هذه الحضارة التى يقلدها الناس حضارة بدأت تعلن إفلاسها، بدأ الناس ينقدونها نقدًا عنيفًا.. كتب كثيرة بدأت تنقد هذه الحضارة وتعريها، ونحن نأخذها كما هى.

ما حاجتنا أن نقلد وعندنا ديننا، وفيه - والحمد لله.- ما يغنينا عن الاستيراد؟

موقف المرأة من الحضارة الغربية:

لماذا يستورد المرء بضاعة أجنبيةً إذا كانت عنده بضاعة وطنية منافسة؟ فكيف إذا كانت أفضل وأحسن؟

هى من عند الله.

إنها بضاعة لم يصنعها بشر. نحن عندنا شريعة لم يصنعها بشر، وإنما أنزلها خالق القوى والقدر، ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً** ﴾ [البقرة: ١٣٨]، حكم الله، ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة: ٥٠].

نحن نريد لمسلمة الغد أن ترجع إلى دينها وإلى أصالتها، أن ترفض التقليد الأعمى، أن تقف من هذه الحضارة الوافدة موقف المتخير المنتقى، تأخذ خيرها وترفض شرها وتأخذ ما يلائمها.

نريد من مسلمة الغد أن تقف هذا الموقف الأصيل لا موقف المقلد.

نريد منها أن تؤدى الواجبات كما ترعى الحقوق.

نريد منها أن تُعْنَى بالمخبر قبل أن تُعْنَى بالمظهر، تُعْنَى بالبيت قبل أن يشرئب عنقها للشارع.

نريد منها أن تعنى بزوجها وأولادها بدلاً من منافسة الرجال أو اختطاف أنظارهم إليها.

نريد من المسلمة أن تعود كما كانت المسلمة فى

العصور الأولى، فهى المثال الذى يحتذى فى رعاية ا لحقوق، وأداء الواجبات، وفى فهم الدين.

نريدها ذات إيمان، وذات خلق، وذات فهم، وذات رسالة، وذات علم. هذا ما نريده لمسلمة الغد.

نريد أن تنبثق نهضة إسلامية حقيقية، فقد انحرفت النهضة فى بلاد الإسلام إلى التقليد المطلق للمرأة الغربية.

نحن نريد هذا العصر أن ينتهى، نريد أن نبدأ عصراً جديداً، وأن نفتح صفحة جديدة للمرأة المسلمة.

نريد أن تعود نهضة إسلامية حقيقية تقف على أرض صلبة من تعاليم الإسلام، التعاليم الحقيقية كما جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث لم يجىء إلا بكل خير وكل إنصاف للمرأة.

● المرأة بين الجاهلية والإسلام:

المرأة لم يظلمها الإسلام.

الرجل فى الجاهلية كان يعتبر المرأة من سقط المتاع!.. كان يعتبرها شيئًا من الأشياء، وكانت المرأة تورث كما تورث الدواب والأبقار! كان الرجل يرث امرأة أبيه كما يرث بقره وغنمه! وكان يتصرف فى امرأة أبيه كما يشاء إن شاء تزوجها

وإن شاء أمسكها حتى تعتق نفسها منه أو تدفع له مبلغًا من المال! فحرم ذلك الإسلام.

كانت المرأة لا ترث إطلاقًا، لأنه عندهم كان لا يرث إلا من حمل السلاح ودافع عن القبيلة، وركب الفرس وقاتل بالسيف والرمح، ولهذا لم يورثوا النساء ولا الصبيان، كانت المرأة لا حق لها فى الميراث بتاتًا.

الإسلام أنصف المرأة أيما إنصاف ورفع عنها هذه الوصمة حينما كان الرجل يستغفلها.. الأب نفسه يستغفل ميلاد ابنته حيث يقول: ما هي بنعم الولد، نصرها بكاء وبرها سرقة! ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [النحل: ٥٨].

رفع الإسلام هذا عن المرأة واعتبرها هبة من هبات اللّٰه، ﴿ **لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ** ﴾ [الشورى: ٤٩]، وقدم الإناث على الذكور هنا واعتبر أدبهن وحسن تربيتهن من موجبات الجنة..

رفع الإسلام من قدر المرأة .. بنتًا وزوجةً وأمًا.. ولم يجز للأب أن يتصرف فيها كما يتصرف فى المتاع ويزوجها من

يشاء. تستطيع أن تقول بأعلى صوتها.. لا.. وإذا قالت لا، لم يملك أن يزوجها.

جاءت فتاة إلى النبى ﷺ فقالت: إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته - وفى رواية- : وهى كارهة - فجعل الأمر إليها. فقالت: قد أجزت ما صنع أبى، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شىء[١].

الإسلام لم يظلم المرأة ولم يهدر حقها ولم يضيع لها حقًا. بل أنصفها ورفع من قدرها فى كل ناحية من نواحى الحياة.

إن مسلمة الغد لا بد أن تعود إلى إسلامها بثقة واطمئنان ويقين، وأن تقف من الحضارة الغربية الوافدة موقف الأصيل الذى يتخير وينتقى ويقول.. هذا لا يصلح لى، وهذا لا بأس به.

وأقول بصراحة: إنه إذا كان فى الحضارة الغربية من خير فكله قد سبق به الإسلام. وإذا كان فيها شر فقد نزهنا عنه الإسلام. إننا لسنا فى حاجة إلى الاستيراد، ولسنا فى حاجة إلى أن نتسول من غيرها ونحن أغنياء.

---

(١) رواه ابن ماجه فى النكاح حديث (١٨٧٤).

إن تسول القادر لا يجوز، فكيف نتسول من مائدة غيرنا وقد أغنانا الله بالإسلام؟

● **مسلمة الغد :**

أخواتى المسلمات . . .

هذا ما أريده من مسلمة الغد، أريدها مسلمة عارفة بدينها وبحياتها، مؤدية لواجبها نحو ربها، ولواجبها نحو زوجها وأولادها، ولواجبها نحو مجتمعها ودينها وأمتها الإسلامية.

نريدها أن تقود نهضة إسلامية حقيقية.

نريدها الداعية المسلمة.

نريدها المربية المسلمة، والمرشدة المسلمة، التى تعلم بنات جنسها وتقود نهضة حقيقية.

وما أولى هذه البلاد - ونحن فى جزيرة العرب وفى قلب دار الإسلام - ما أولادها أن نرى فيها مثل هذه النهضة الإسلامية الحقيقية، ووراءها خير الدنيا وسعادة الآخرة . . وراءها رضا الله تعالى، وإعجاب العقلاء من الناس . . وراءها الكسب المادى والروحى، والسعادة النفسية، السعادة التى ليس هناك سعادة أعظم منها أبداً.

إنها السعادة التى قالت عنها أم كلثوم بنت على وزوج عمر رضى الله عنهم، حينما قال لها عمر رضى الله عنه - مرة وقد أغضبته فى أمر من أمور البيت- : لأشقينك، فقالت : لا تستطيع، فإنى أرى سعادتى فى إيمانى، وإيمانى فى قلبى، وقلبى لا سلطان لأحد عليه غير ربى.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا السداد فى القول والعمل، وأن يفقهنا فى ديننا، وأن يعيد المرأة المسلمة إلى أصالتها، وإلى شخصيتها الإسلامية الحقيقية الأصيلة.. تعود كمسلمة العصور الأولى، نافعة، صالحة، مصلحة إن شاء الله.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

الفهـرس

الموضـوع	الصفحة

رقم الايداع ٢٠٠٤/١٩٧٦

الترقيم الدولى .I.S.B.N

977-225-180-9